الفصل السادس

الطب رسالة دعوية

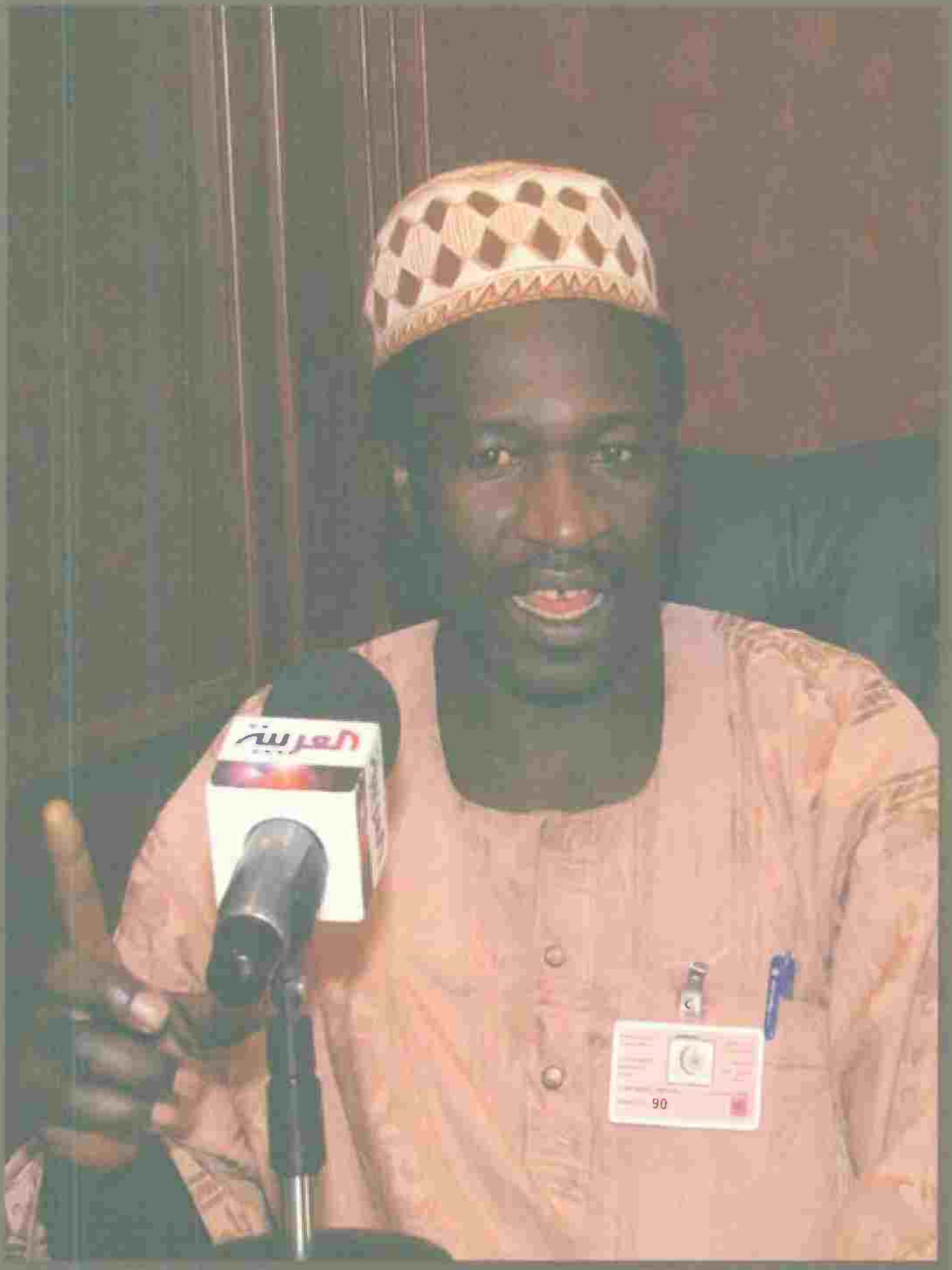

«أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» والد النوّام الكاميروني يعلن إسلامه

الطب رسالة دعوية

في ظل سباق الثقافات، ومحاولات النصرانية المعاصرة وبعض المذهبيات الأخرى تصدير نماذجها وقيمها؛ أصبحت الدعوة تأً إعلامياً متصورًا، وتعددت طرقها وأساليبها، ولم تعد قاصرة على الخطاب المباشر أو الاتصال الشخصي، بل دخلت أساليب خرى كثيرة نتجًا لدراسات وأبحاثٍ وتقييمٍ للشعوب المستهدفة وبيئاتها وعاداتها وتقاليدها، وعمدت النصرانية إلى إنشاء صحف فضائيات تتركز مهماتها في التبشير وتسويق قيم الغرب المسيحي، وفي استمالة مشاعر الجماهير لجمع التبرعات. وصحب ذلك يام جمعيات خيرية متعددة الأغراض لها إسهامات واضحة في برامج التنصير إعلامية كانت أو اقتصادية أو تعليمية أو ثقافية و رياضية. ولنا أن نتصور أن بعض المنظمات التبشيرية العاملة في مناطق المسلمين بعدة دول أفريقية فقيرة تلجأ إلى حيل ماكرة تمثل في توزيع الوجبات والملابس والحلوى، وفتح المراكز الصحية والمختبرات لاستقبال المرضى وتوزيع الدواء، وتنفيذ برامج محو الأمية والإسعافات الأولية، وتعليم التفصيل والحياكة والمخبوزات في أوقات الصلوات الخمس.. وبالتالي فإن من يذهب لى المسجد يفقد حصته من حاجاته ومتطلباته الملحة.

ومن المعلوم أن الدعوة الإسلامية ـ ومنذ العهود السابقة ـ لا تلجأ إلى استغفال الشعوب، أو إيهامها والتمويه عليها بأي أسلوب من الأساليب للخادعة، فهذا ليس من شيم وقيم المسلم الذي يحثه دينه على الصدق، ويمنعه من الغش والكذب.. ولذا اشتهر فسلمون في المشرق وفي الأندلس بالصدق والمعاملة الحسنة مع غير المسلمين، ولم تكن علومهم ومعارفهم ملكية خاصة؛ بل حوها لكل الشعوب، وبذلوا لها خبراتهم ومهاراتهم في مجالات الطب والصيدلة والجراحة والرياضيات وغيرها، وكان هذا نهج سبباً في أن يجد غير المسلمين في الإسلام منهج حياة وقيمًا إنسانية وسلوكية يعزُّ نظيرها في الديانات الأخرى.. وكان لطب ـ وما زال ـ أحد أهم المنافذ والمداخل الإنسانية في الدعوة إلى الله.

آيات طبية في القرآن تهدي علماء إلى الإسلام

يقول الدكتور عبد الكريم ساتيو الياباني أستاذ الاقتصاد في إحدى الجامعات اليابانية، كما أورد محمد الطهطاوي في كتابه للدعوة إلى الإسلام): « إنني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتي درستها من صغري وأعلمها جيداً، فوجدتها منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأنّي تيقنت أنّ محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم أتى بالحق الصريح من قبل أكثر من ألف سنة....، ولو كان كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلَّم جيداً ـ كما قارنت أنا ـ لأسلم بلا شك، إن كان عاقلا خاليا من الأغراض».

ويقول الدكتور زغلول النجار في إجابة على سؤال أهمية الإعجاز العلمي ضمن حوار طويل أجراه معه صحفي وباحث مصري: إن الإعجاز العلمي يفيد المسلم في فهم دلالة الآيات فهما عميقاً، ويثبت له صدق القرآن الكريم بالإشارة إلى هذه الحقيقة ويزيد الإيمان في قلبه ويزيده يقينا بالقرآن الكريم، ويدعو غير المسلمين لقراءة القرآن الكريم من مدخل الآيات الكونية كما حدث

إحدى موظفات الشئون الصحية تشهر إسلامها

وأخرى تعمل بالشئون الصحية تشهر إسلامها

مع عشرات العلماء، مثل موريس بوكاي وكيث مور وكثير من الذين أسلموا. ويضيف: العلم والمعرفة سبب للهداية، فلو ثبتت لعالم غربي حقيقة كونية لم تكن معروفة قبل ١٠٠ سنة مثلاً، وأن هناك كتاباً قبل ألف وأربعمائة سنة يتحدث عنها؛ سيقنعه هذا بجدية هذا الكتاب وسيدفعه لقراءته وقد يكون ذلك مدخله للإيمان.

أما العالم الفرنسي موريس بوكاي أشهر جراحي فرنسا الحديثة فيقول في مقدمة أحد كتبه: «لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدقة بموضوعات شديدة التنوع، ومطابقتها تماما للمعارف العلمية الحديثة.. وذلك في نص قد كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا».

وروى الدكتور زغلول النجار في كتابه: (الذين هدى الله) أنه حضر مؤتمرًا للإعجاز في العاصمة الروسية موسكو، وفي هذا المؤتمر الذي أسلم فيه عدد من العلماء. وقف العالم الكندي كيث مور أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم ليقول: «إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكوُّن الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث، وهذا يدلُّ على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله وأن محمدًا رسول الله». فسألوه: هل أنت مسلم؟ فأجاب: لا؛ ولكني أشهد أن القرآن كلام الله وأن محمدًا مرسل من عند الله. فقيل له: إذن أنت مسلم. فقال: «أنا تحت ضغوط اجتماعية تحول دون إعلان إسلامي الآن، ولكن لا تتعجبوا إذا سمعتم يومًا أن كيث مور قد دخل الإسلام» وبالفعل وردت الأنباء بإعلان إسلامه كما أكد ذلك الدكتور النجار. وعرض بعض العلماء المسلمين على البروفسور تيجاتات تيجاسون رئيس قسم علم التشريح في جامعة شيانك مي بتايلند بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة بمجال تخصصه في علم التشريح، واستمع كذلك إلى محاضرة أعدها البروفسور كيث مور أستاذ علم التشريح بجامعة تورنتو بكندا حول مطابقة علم الأجنة لما في القرآن الكريم والسنة، كما سألوه في مجال تخصصه أسئلة تتعلّق بالجلد وما إذا كانت هناك مرحلة ينعدم فيها الإحساس بالألم؟ وعندما أجاب بأن ذلك يمكن حدوثه إذا كان الحرق عميقًا ودمر عضو الإحساس بالألم، قالوا له إن القرآن الكريم قد أشار إلى تلك الحقيقة العلمية قبل أكثر من ١٤٠٠ عام عندما ذكر الطريق التي سيعاقب بها الكافرين يوم القيامة وذلك في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارًا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ النساء الآية ٥٦، فقال «إن هذا أمر يدعو للدهشة والغرابة، فتلك معرفة مبكرة جدًا عن مراكز الإحساس والأعصاب في الجلد، ولذلك وقف في ختام جلسات المؤتمر الطبي السعودي الثامن وبعد أن استمع إلى عدة محاضرات عن الإعجاز العلمي؛ ليعلن: «بعد هذه الرحلة الممتعة والمثيرة فإني أومن أن كل ما ذُكر في القرآن الكريم يمكن التدليل على صحته بالوسائل العلمية، وحيث أن محمدًا نبي الإسلام كان أميًّا؛ إذن لا بد أنه قد تلقى معلومات عن طريق وحي من خالق عليم بكل شيء، وإنني أعتقد أنه قد حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

ويؤكد الأديب والمفكر الإنجليزي المشهور محمد مرمادوك بكثول كما أوردت مجلة المختار الإسلامي في عددها رقم ٤١٠ الصادر في رجب من عام ١٤٠٦هـ: «إن خلاص العالم من أزمته يكمن في اتباع المنهج الإسلامي، فالإسلام يملك مفتاح الإصلاح لأنه يمتاز بقاعدتين هما؛ التسامي وروح الجماعة، ويعلمنا أن نرى في كل حادث وفي كل شيء آية من آيات الله ورمزاً لوجوده

والد التوأم الكاميروني يشهر إسلامه

والد التوأم الكاميروني بعد إشهار إسلامه مع الشيخ د. عبد الرحيم أبو عدة

أعلى يُسيّرنه ويُسيّر الطبيعة والمجتمع. وهدف الدين الرئيسي هو التناسق والوحدة الصادرة عن الله والعائدة إليه، ومما يجعل الإنسان إنساناً هو اتجاهه إلى تحقيق إرادة الله». ويتابع: «إن الغرب الآن في حاجة إلى الإسلام اكثر من أي وقت مضى، ليعطي للحياة معنى وللتاريخ مغزى، وحتى يغير أسلوب الغرب في الفصل بين العلم والحكمة أو فصل التفكير عن الوسائل، وفصل التفكير عن النتائج، إن الإسلام لا يضع حاجزاً بين العلم والإيمان؛ بل على العكس من ذلك يربط بينهما باعتبارهما وحدة متكاملة غير قابلة للتجزئة. والإسلام يدعو الإنسان إلى أن يفتش ويبحث عن نهايته العظمى ومآله، كما يمكن له أن يعيد إحياء الأمل في مجتمعاتنا الغربية المتأثرة بالفردية بطريقة من النمو تقود العالم بأجمعه إلى الانتحار».

الكومسو يعلن إسلامه

وتأكيدًا لدور الطب في الدعوة لله فقد كانت الجراحة التي أجريت لفصل التوأم السيامي الكاميروني بنجاح في مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني سبباً أساسياً في إسلام والدهما السيد جيمس الكومسو الذي توصل إلى قناعة تامة بسماحة الدين الإسلامي، وبحسب قوله فإنه وجد في الإسلام مظاهر وسمات إنسانية لم يلمسها من قبل في أي دين أو مذهب آخر؛ بل لا حتى في الأعراف والقيم الاجتماعية والإنسانية التي تتباهى بها دول متقدمة عديدة في مختلف أنحاء العالم.. لقد أحسَّ بعظيم إفادته. منذ أن وطئت قدماه تراب المملكة العربية السعودية، ودخوله مع توأمه إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية بأريحية واستقبال وبفيض من مشاعر المحبة وحسن التعاون والإخاء والتواضع والرحمة، لم يكن يتوقع ذلك، بل اتسعت مساحة الدهشة في دواخله، لقد كان يحمل اعتقاداً سالباً بأن العرب يتعاملون مع الآخرين بحسب ألوانهم، وأن مظاهر التفرقة عندهم أعلى على غيرها من المظاهر، وأن المسلمين يتَّسمون عادة بالفظاظة والقسوة وكراهية أصحاب المعتقدات الأخرى، هكذا أسهم الإعلام في بناء هذه الخلفية لدى غير المسلمين خاصة في أفريقيا، لقد انعكست هذه المفاهيم تماماً وتحوَّلت إلى إيجابيات، وهذا ما دفعه وحفزه إلى القراءة والبحث عن أساسيات هذا الدين ومبادئه وتعاليمه وقيمه ونهجه في صياغة الحياة وسلوكيات الإنسان، لقد أدرك أن ديناً يصوغ شعباً بهذه القيم الرفيعة؛ لا بد أن يكون ديناً سمحاً يتسع لكل بني الإنسان بصرف النظر عن ألوانهم وألسنتهم ومعتقداتهم وبلدانهم.. وشعر - وهو في أوج هذه التأملات والقراءات - أنه بات يقترب كثيراً من الدين الإسلامي، يتنامى لديه الرؤية والقناعة بأنه الدين الذي يتسع لجميع الشعوب، ويُمكنه معالجة كل مشكلات البشرية إذا استوعب الناس خطاباته وتوجيهاته، وتمسَّكوا بمبادئه، وطبَّقوا نهجه وتعاليمه بشكل صحيح.

وضاعف من يقين الرجل و قناعاته التي مهَّدت له طريق النور والهداية أنه رأى في مبادرة خادم الحرمين الشريفين بفصل التوأم، وفي زيارته لهما بالمستشفى عملاً غير عادي، ويتجاوز حدود العلاقات والمعاملات الإنسانية، فكيف برئيس دولة عربية كبيرى، وقائد وشخصية إسلامية مرموقة؛ أن ينصت ويهتم ويتجاوب مع قضية أسرة نصرانية فقيرة قادمة من دولة فقيرة في أقصى وسط غرب أفريقيا..؟ أيُّ نوع من التسامح هذا؟ إن هذا لأمرٌ عجيبٌ حقًّا. لقد تأثر الكومسو كثيراً بإنسانية خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - وأحدث حسن معاملته خلخلة في تصوراته السابقة عن الإسلام والمسلمين! كما استغرب أيضاً؛ بل لم

مركز الملك عبدالله الإسلامي بقرية بانجي بالكاميرون

يكد يصدق الإخلاص في التعامل، ولا البشاشة التي أحاطه بها الفريق الطبي منذ لحظات الاستقبال وحتى مغادرة المستشفى.

وما أن أسلم الكومسو حتى أعلن أن إسلامه لن يقتصر على النطق بالشهادتين وأداء الفرائض فقط؛ بل سيتعمق في الدراسات الإسلامية ليتعرف أكثر فأكثر على دينه الجديد بالقدر الذي يعينه على الدفاع عنه والدعوة له عن فهم ووعي، وقال إن زوجته وأسرته ستكون محطته الأولى ومنطلقه في الدعوة إلى الله عز وجل، ثم تمتد جهوده إلى أهله وعشيرته ومجتمعه.

والآن لعل أطباء الإسلام يوظّفون مهاراتهم الجراحية والدوائية في توسيع دائرة الدعوة إلى الله، ويجعلون مواقعهم في المشافي والمختبرات ومراكز الأبحاث ثغورًا من ثغور الإسلام، تُمهَّد وتفتح الطريق أمام أصحاب الديانات الأخرى واللامبنيين للتعرف على الإسلام والاقتراب منه، والإلمام بقيمه الإنسانية العظيمة التي تعد مفتاح الدعوة ووسيلة إقناع سهلة ومتاحة بإذن الله.

غيرنا يشهدون:

شهد كثير من غير المسلمين بأن للإسلام والمسلمين فضل كبير في صناعة الحضارة المعاصرة، وقد برز في تاريخ الإسلام علماء ومفكرون أثروا الحياة الإنسانية باكتشافاتهم واختراعاتهم في مختلف مجالات العلوم والمعارف، وقد أفادت الحضارة الغربية من العلوم العربية والإسلامية في بناء نهضتها وتقدمها، وأثبت بعض منصفيها هذا الفضل؛ بينما أنكره آخرون وحرَّفوا أسماء العلماء العرب والمسلمين، وحوَّروا مصطلحاتهم وألبسوها حُلَّة غربية إمعانًا في الإنكار ونفي العلم والمعرفة عن أصحابها.

ومن الشخصيات المعاصرة التي أنصفت الحضارة الإسلامية - كما أورد الدكتور محمود زقزوق في ملحق كتابه: (الإسلام والغرب) الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا وروبين كوك وزير خارجيتها السابق. يقول الأمير تشارلز في محاضرة له بمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية ألقاها في أكتوبر ١٩٩٣م: «إن الإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا في جميع مجالات البحث الإنساني، وقد ساهم في إنشاء أوروبا المعاصرة.. إنه جزء من تراثنا وليس شيئًا منفصلاً عنه». ويقول أيضاً: «لقد تم الاعتراف منذ عهد طويل بمساهمة أسبانيا في ظل الحكم الإسلامي في الحفاظ على العلوم والمعارف الكلاسيكية خلال عصور الظلام في وضع اللبنات الأولى للنهضة الأوروبية؛ لكن أسبانيا في عهد المسلمين كانت أكثر من مجرد مخزن حيث احتفظت بالمعارف والعلوم الإغريقية التي استفاد منها فيما بعد العالم الغربي العصري الذي أخذ في الظهور. وهي في عهد المسلمين لم تقم فقط بجمع وحفظ المحتوى الفكري للحضارة اليونانية والرومانية؛ بل فسَّرت تلك الحضارة وتوسعت بها وقدمت مساهمة مهمة من جانبها في كثير من مجالات البحث الإنساني في العلوم والفلك والرياضيات والجبر والقانون والتاريخ والطب وعلم العقاقير والبصريات والزراعة والهندسة المعمارية وعلم الدين والموسيقى. وقد ساهم ابن رشد وابن زهر - على غرار نظيرهما ابن سينا والرازي في الشرق - في دراسة الطب وممارسته بطرق استفادت منها أوروبا لقرون كثيرة بعد ذلك.... كما أن كثيراً من المزايا التي تفخر بها أوروبا العصرية جاءت أصلاً من أسبانيا أثناء الحكم الإسلامي، فالدبلوماسية وحرية التجارة والحدود

أساسات مركز الملك عبدالله الإسلامي

أساسات مركز الملك عبدالله الإسلامي

لمفتوحة وأساليب البحث الأكاديمي وعلم الإنسان وآداب السلوك وتطوير الأزياء والطب البديل والمستشفيات، جاءت كلها من تلك المدنية العظيمة».

ويقول روبن كوك: «إن ثقافتنا مدينة للإسلام بدَيْن يجدر بالغرب ألا ينساه.... وأن الشيء الكثير من أسس حضارتنا يعود لفضل فيها إلى العالم الإسلامي».

وأورد الأستاذ محمد عبد الصمد في كتابه: (الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء) أن عالمًا ألمانيًا سئل في محفل علمي عن سبب سلامه؟ فأجاب: «دعاني إلى الإسلام تلك الآية الجليلة من سورة القيامة: ﴿**أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه، بلى قادرين على أن نُسوِّي بنانه**﴾ القيامة - آيتان (٣ - ٤).. فالآية الثانية تشير إلى بصمات الأنامل.... والكشف عن حقيقة هذه البصمات لم تكن تعرفه أوروبا - فضلاً عن العرب - إلا في عصرنا هذا، مما يدل على أن القرآن مُنزَّلٌ من عند الله وليس من كلام البشر. وما كان العرب ومن عاصرهم يدرك المعنى الحقيقي لهذه الآية». واقتبس المؤلف من حديث طويل للطبيب الفرنسي على سلمان توا قوله: «إد العامل الرئيسي في اعتناقي للإسلام هو القرآن الكريم الذي يحمل نفس النظريات التي كشفت عنها أحدث لأبحاث العلمية، وكان هذا كافيًا لاقتناعي وإيماني بمحمد رسول الله. إنني أشعر بالغبطة الكاملة في ظل عقيدتي الجديدة، وأعلنها مرة أخرى: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله». وأورد كذلك مقولة للكاتب الإنجليزي الشهير ليونارد: «... ألم يأن تا - نحن الذين نعد أنفسنا في أعلى قمة التهذيب - الاعتراف بأنه لولا التهذيب الإسلامي ومدنية المسلمين وعلومهم وعظمتهم حسن نظام جامعاتهم لكانت أوروبا اليوم تهيم في ظلام بهيم....».

وأورد الدكتور عبد القادر محمد منصور في كتابه: (الإعجاز الطبي في القرآن الكريم) وهو يتحدث عن أصول التخليق لكائن الجنيني التي قررها القرآن الكريم بدقة متناهية لا يمكن للعلم التجريبي تجاوزها شهادة إنصاف - نقلاً عن صحيفة الاتحاد لإماراتية - للدكتور ريتشارد فون فايتسكر رئيس جمهورية ألمانيا الغربية قالها أثناء حوار بينه وبين طلاب وطالبات الجامعات لألمانية بمناسبة العام الدراسي الجديد: «إن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي فسَّر علم الأجنة بما عجز عنه العلماء حتى لآن».. وبيَّن أن الرئيس الألماني يشير بذلك إلى الآيات من ١٢ - ١٤ من سورة المؤمنون: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ المؤمنون - آية (١٤).

صور من قرية باتجي (قرية النوام الكاميروني) حيث أشهر أكثر من سبعمائة وعشرين كاميروني إسلامهم